

عموم رسالته وتبليغه الرسالة

الأمر الثالث : عموم رسالته: اختص محمد -صلى الله عليه وسلم- دون الأنبياء بخصائص كثيرة ذكر بعضها في حديث جابر المتفق عليه بقوله: { أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة } هو في صحيح البخاري برقم 335 وصحيح مسلم 5/3. وقال -صلى الله عليه وسلم- { بعثت إلى الأسود والأحمر } رواه مسلم هو في صحيحه مع شرح النووي 5/3. ؛ وعلى هذا فإن على جميع البشر أن يتبعوه ويطيعوه، فإنهم جميعا من أمته أمة الدعوة، وقد قال الله -تعالى- { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } ؛ أي للناس كافة، وقال -تعالى- { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } . وقد وردت الخطابات في القرآن لعموم الناس، كقوله -تعالى- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } وقال -تعالى- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ } وقال -تعالى- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا } . فالإشارة إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- وما جاء به من ربه، فهذه النصوص تبين أن جميع البشر مكلفون باتباع رسالته، وملزمون بطاعته، وقد اشتهر أيضا أنه -صلى الله عليه وسلم- مبعوث إلى الجن كما بعث إلى الإنس، واستدل لذلك بقوله -تعالى- { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَصَرَوْهُ قَالُوا أُنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ } إلى قوله: { يَا قَوْمَنَا أحيُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ } وكذا قوله -تعالى- { قُلْ أَوْجِبَ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْ أَسْمَعَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ قَامِنًا بِهِ } . وقد زعم اليهود والنصارى -لعنهم الله- أن رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- خاصة بالعرب، وذلك بعد أن اطمأنوا إلى صحة رسالته، وما تأيد به من المعجزات، وما حصل له من الأتباع، فلم يجدوا بدا من التصديق بأنه مرسل من ربه، ولكن حملهم الكبر وحب المناصب والمكاسب على ترك اتباعه، وقد اعترفوا بأن ما أنزل إليه فهو وحي من الله تعالى؛ لصدقه وصحة رسالته، ومع ذلك لم يتقبلوا ما فيه من الأوامر الموجهة إليهم، كقوله -تعالى- { وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي تَمَتًّا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ونحو ذلك من الآيات. الأمر الرابع : تبليغه الرسالة: قال الله -تعالى- { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } . وهذا تكليف من ربه -تعالى- فلا بد من حصوله، مع أن هذه وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- من جملتهم، وقد قال -تعالى- { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } وقال: { وَمَا عَلَيَّ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } . وقد شهد له صحابته -رضي الله عنهم- بهذا البلاغ والبيان، فيقول أبو ذر -رضي الله عنه- (توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما طائر يقبل جناحيه إلا ذكر لنا منه علما) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أول الحموية وهو في مسند أحمد 5/263 وغيره . ، وروى أحمد وابن ماجه عنه -صلى الله عليه وسلم- قال: { لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك } هو في سنن ابن ماجه برقم 5 ومسند أحمد 4/126. عن العرابض بن سارية رضي الله عنه . وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم } هو في صحيح مسلم مع الشرح 12/232 مطولا . ، وقد اشتهر أنه -صلى الله عليه وسلم- بدأ بدعوة أهل بلده وقومه، ثم بدعوة العرب في أنحاء الجزيرة ثم بمن وراءهم، فكان يرسل الرسل إلى القبائل في البوادي والقرى للدعوة إلى الله وقبول هذه الرسالة، ثم بعث الدعوة إلى اليمن والبحرين وغيرهما، ثم بعث كتبا تتضمن الدعوة إلى هذه الشريعة إلى ملوك الفرس والروم وغيرهم، فما توفي حتى انتشرت دعوته، واشتهر أمره عند القريب والبعيد { فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } . وهكذا قام صحابته من بعده بالدعوة إلى دينه، وقتال من أبى وامتنع من قبولها، حتى يدخل في الإسلام أو يعطي الجزية، ويلتزم الذل والصغار، حتى بلغت هذه الدعوة أقطار الأرض في أقصر مدة، كما ذكر في كتب التاريخ، ومع ذلك فإن من كان نائيا في طرف البلاد وقدر أنه لم يسمع بهذه الشريعة أصلا فإن له حكم أهل الفترات، وهو مع ذلك مكلف بأن يبحث وينقب عن الدين الذي خلق له وما يدين به الناس حوله.